

الدرس الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد:

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - يقول في كتابه " القواعد الحسان المتعلق بتفسير القرآن "

القاعدة العشرون: القرآن كله محكم باعتبار، وكله متشابه باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث.

وقد وصفه الله تعالى بكل واحدة من هذه الأوصاف الثلاث.

فوصفه بأنه محكم في عدة آيات، وأنه: {أُحْكِمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١] ومعنى ذلك: أنه في غاية الإحكام ونهاية الانتظام، فأخبره كلها حق وصدق، لا تناقض فيها ولا اختلاف، وأوامره كلها خير وبركة وصلاح، ونواحيه متعلقة بالشرور والأضرار والأخلاق الرذيلة والأعمال السيئة فهذا إحكامه.

ووصفه بأنه متشابه في قوله من سورة الزمر: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمر: ٢٣] أي: متشابهاً في الحسن والصدق والحق، ووروده بالمعاني النافعة المزكية للعقول، المطهرة للقلوب، المصلحة للأحوال، فألفاظه أحسن الألفاظ ومعانيه أحسن المعاني.

ووصفه بأن {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧]

فهنا وصفه بأن بعضه هكذا وبعضه هكذا، وأن أهل العلم بالكتاب يردون المتشابه منه إلى المحكم، فيصير كله محكماً ويقولون: {كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبَّنَا} [آل عمران: ٧]

أي: وما كان من عنده فلا تناقض فيه، فما اشتبه منه في موضع، فسرره الموضع الآخر المحكم، فحصل العلم وزال الإشكال.

ولهذا النوع أمثلة؛ منها: ما تقدم من الأخبار بأنه على كل شيء قدير، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

فإذا اشتبهت على من ظن به خلاف الحكمة، وأن هدايته وإضلاله يكون جزافاً لغير سبب وضحت هذا الإطلاق الآيات الآخر الدالة على :

أن هدايته لها أسباب، يفعلها العبد ويتصف بها مثل قوله في سورة المائدة: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} [المائدة: ١٦]

وأن إضلاله لعبده له أسباب من العبد، وهو توليه للشيطان، قال في سورة الأعراف: {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأعراف: ٣٠] وفي سورة الصف: {فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥] .

وإذا اشتبهت آيات على الجبري الذي يرى أن أفعال العباد مجبورون عليها، بينها الآيات الآخر الكثيرة الدالة على أن الله لم يجبر العباد، وأن أعمالهم واقعة باختيارهم وقدرتهم، وأضافها إليهم في آيات غير منحصرة.

كما أن هذه الآيات التي أضاف الله فيها الأعمال إلى العباد حسننها وسيئها، إذا اشتبهت على القدرية النفاة، فظنوا أنها منقطعة عن قضاء الله وقدره، وأن الله ما شاءها منهم ولا قدرها، تليت عليهم الآيات الكثيرة الصريحة بتناول قدرة الله لكل شيء من الأعيان والأعمال والأوصاف، وأن الله خالق كل شيء.

ومن ذلك: أعمال العباد، وأن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين.

وقيل للطائفتين: إن الآيات والنصوص كلها حق، ويجب على كل مسلم تصديقها والإيمان بها كلها، وأنها لا تتنافى، فهي واقعة منهم وبقدرتهم وإرادتهم، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.

وما أُجْمِلَ في بعض الآيات فسرته آيات آخر، وما لم يتوضح في موضع توضح في موضع آخر، وما كان معروفاً بين الناس وورد فيه القرآن أمراً أو ناهياً، كالصلاة والزكاة والزنا والظلم، ولم يفصّله فليس مجملاً، لأنه أرشدهم إلى ما كانوا يعرفون، وأحالههم على ما كانوا به متلبسين، فليس فيه إشكال بوجه والله أعلم.

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ - رحمه الله تعالى - في كتابه: **القواعد الحسان**

قاعدة مفيدة جداً لطالب العلم ومفيدة أيضاً للمسلم عموماً الذي يقرأ كتابه الله - سبحانه وتعالى - وخاصة في هذا الزمان الذي يُلبَس فيه على عوام الناس وجُهاً لهم بإثارة شبهات وإيراد أمور يثيرها أهل الزيغ ابتغاء الفتنة.

ولهذا ينبغي للمسلم أن يكون على علم بهذا الأصل الذي ذكره الشيخ - رحمه الله تعالى - وأن يجعله قاعدة له وأن تكون في ضوء هذا الأصل ؛ ((قواعد الدين وأصوله وثوابته وأركانه ودعائمه)) ثابتة في قلبه راسخة في نفسه لا يقبل أن يشككه فيها مشكك أو أن يلبس عليه فيها ملبس وإذا جاءه بشيء من المتشابه رده إلى المحكم الثابت الراسخ في قلبه المبني على الآيات البيّنات والنصوص المحكمات من كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

ولهذا فإنه من المفيد جداً لطالب العلم وللمسلم : أن يعرف هذه الأوصاف من القرآن الكريم وأن يعرف هذه الاعتبارات لهذه الأوصاف حتى يكون على بينة ومعرفة بكتاب الله - سبحانه وتعالى - ولهذا فهذه تعد قاعدة عظيمة ومفيدة جداً وأما تطبيقاتها فباب واسع والشيخ - رحمه الله - ضرب بعض الأمثلة الموضحة لذلك وسأذكر أيضاً بعض الأمثلة التي توضح وتجلي المقصود من هذه القاعدة العظيمة...

قال - رحمه الله - : القرآن < كله محكم باعتبار،

<وكله متشابه باعتبار،

<وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث.

هذه ثلاث اعتبارات للقرآن الكريم.

الأول منها: هو وصفة كله بأنه محكم: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) ؛ أي آياته كلها فهذه صفة للقرآن كاملاً بجميع سورة وآياته، فالقرآن من أوله إلى آخره كتاب محكم والإحكام صفة للقرآن كاملة بهذا وصفه الله - سبحانه وتعالى - وبهذا نعت آياته؛ قال: كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وهذا يسميه العلماء إحكامٍ عام؛ أي شامل للقرآن كله بجميع سورة وآياته إذ القرآن كله محكم،

ومعنى الإحكام هنا؛ أي: الإتقان ، كتاب محكم أي: كتاب متقن في أخباره؛ لأنها كلها صدق وحق، وفي أوامره لأنها كلها عدل؛ (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) ؛ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر.

فهو كتابٌ كله محكم ليس فيه خبرٌ إلا وهو صادق ، وليس فيه أمرٌ إلا وهو عدل، لا يخرج شيء من كتاب الله - عز وجل - عن هذا الأصل فهو كتاب محكم من أوله إلى آخره.

وهو مشتمل على أخبار وأخباره كلها صدق؛ وهذا من إحكامه في أخباره ، ومشتمل على أوامر ونواهي؛ والأوامر والنواهي في كتاب الله - سبحانه وتعالى - كلها عدل؛ وهذا من إحكامه.

فهو محكم في أخباره؛ لأن أخباره كلها صدق، ومحكم في أوامره ونواهيها؛ لأنها كلها عدل؛ وهذا هو معنى قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ صِدْقًا أي: في الأخبار، وَعَدْلًا أي: في الأوامر.

فالقرآن كله تام متقن في هذين الجانبين: جانب الأوامر والنواهي، وجانب الأخبار، فهو كتاب محكم. هذا هو معنى الاحكام الذي هو وصف عام للقرآن كله، وليس في القرآن آية واحدة أو سورة واحدة خارجة عن ذلك؛ لأن هذا وصف للقرآن كاملاً ، كتاب الله - سبحانه وتعالى - كله محكم.

يقول رحمه الله: ((ومعنى ذلك)) أي: معنى الإحكام العام : أنه في غاية الإحكام ونهاية الانتظام، فأخباره كلها حق وصدق، لا تناقض فيها ولا اختلاف، وأوامره كلها خير وبركة وصلاح، ونواهيها متعلقة بالشروع والأضرار والأخلاق الرذيلة والأعمال السيئة فهذا إحكامه. هذا هو المراد بإحكامه أي: أنه متقن؛ متقن في الجانبين الذين أشار لهما رحمه الله: جانب الأخبار فكلها صدق، وجانب الأوامر والنواهي فكلها عدل؛ لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر،

- أوامره كلها متعلقة بالخيرات والمصالح والمنافع ، ونواهيه كلها متعلقة بالشور والأضرار لا ينهى عن شيء إلا وفيه شر وضُر على العباد.

ولهذا يذكر أن إعرابيا قيل له بما عرفت صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: ما وجدته أمر بشيء وقال العقل : لبيته لم يأمر به ولا وجدته نهي عن شيء وقال العقل: لبيته لم ينه عنه؛ لأن أوامره كلها خير وبركة وصلاح ونفع وسعادة وفلاح في الدنيا والآخرة ،

ونواهيه كلها شرور: لا ينه إلا عن شر، لا ينه إلا عن مضرات وعن أمور مهلكات للعبد في الدنيا والآخرة. فهذا كله من إحكام كتاب الله - عز وجل - .

(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) أي: أتقنت؛ فهو في غاية الاتقان وتمام الجودة وكمال الحُسن في أخباره وفي أوامره ونواهيه.

هذا الإحكام العام الذي وصف الله - سبحانه وتعالى - به القرآن في غير ما آية.

الأمر الآخر: وصف القرآن كاملاً بأنه متشابه - كما أن الله - سبحانه وتعالى - وصف القرآن كاملاً بأنه محكم - وصفه جل وعلا في آية أخرى بأنه كاملاً متشابه.

والتشابه هنا المراد به التشابه العام، ومعنى العام أي: المتناول والشامل للقرآن كله؛ فالقرآن كله متشابه قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]

قوله: ((متشابهاً)) هذه صفة للقرآن كله؛ فالقرآن كله من أوله آية فيه إلى آخر آية متشابه .. ولا تعارض بين وصف القرآن كله بأنه محكم وأنه كله متشابه إذا عرفنا المراد بالإحكام العام والتشابه العام

ونحن عرفنا أنّ المراد بالإحكام العام: هو الاتقان أنه كتاب متقن في أخباره وفي أوامره ونواهيه.

والمراد بالتشابه - الذي هو وصف عام للقرآن المراد به - : التجانس والتماثل وعدم التعارض والتناقض كتاباً متشابهاً أي متجانساً متماثلاً يؤيد بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض ويعضد بعضه بعضاً ولا يناقض بعضه بعضاً - هذا معنى

التشابه - الذي هو صفة للقرآن كاملاً آياته متشابهة أي متجانسة كلها حق ليس فيه تعارض ولا تناقض لا في الأخبار ولا في الأوامر والنواهي بل هو كتاب متشابه أي: متجانس متماثل يؤيد بعضه بعضاً وهذا هو معنى قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]

القرآن ليس فيه اختلاف؛ لأنه متشابه وقال - جل وعلا - : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]؛ هذا تشابه القرآن تشابه أنه متجانس متماثل متوائم يؤيد بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض وليس فيه تعارض أو تناقض أو تضارب أو تضاد أو نحو ذلك من المعاني فالقرآن بعيد عن ذلك كله

قال رحمه الله: ((أي: متشابهة في الحسن والصدق والحق ووروده بالمعاني النافعة المزكية للعقول المطهرة للقلوب المصلحة للأحوال فألفاظه أحسن الألفاظ ومعانيه أحسن المعاني)).

هذا معنى التشابه العام

وبمعرفتنا للإحكام العام الذي هو وصف للقرآن كله وللتشابه العام الذي هو وصف للقرآن كله ندرك أن ليس بين الأمرين تعارض لأنه لما كان كله محكم أي: متقن تمام الإتيان صار كله متشابهاً أي: كله متجانساً يشهد بعضه على بعض ويؤيد بعضه بعضاً.

ولهذا ليس هناك تعارض بين وصف القرآن كله بأنه محكم ووصفه كله بأنه متشابه.

فالمراد بالإحكام هنا الإحكام العام

والمراد بالتشابه هنا التشابه العام.

إذا وضح لنا هذا ننتقل إلى الاعتبار الثالث وهو: وصف بعض القرآن بأنه محكم ووصف بعضه بأنه متشابه وهذا أمر مختلف عن الإحكام العام والتشابه العام بل هو باب آخر وقد جاء بيان هذا الاعتبار في قول الله - سبحانه وتعالى - :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] ... اللهم اجعلنا من أولي الألباب

هذه الآية الكريمة وصف الله - سبحانه وتعالى - فيها بعض القرآن بأنه محكم، ووصف بعضه بأنه متشابه

والإحكام هنا والتشابه خاص ، ليس هو الإحكام العام الذي وصف للقرآن كله، وليس هو أيضا التشابه العام الذي هو وصف للقرآن كله، وإنما هذا إحكام خاص... بعض آياته محكمات وبعض آياته متشابهات، ما معنى ذلك بعض آيات القرآن محكمات؟ ما المراد بكونها محكمات؟

الآن عندنا معنى آخر غير المعنى الأول الذي هو: الإحكام العام الذي هو وصف للقرآن كله ؟

بعض آيات القرآن محكمات أي: ظاهرة بيّنة من حيث الأخبار؛ الخبر فيها ظاهر بيّن لا خفاء فيه واضح لكل أحد ومن حيث الأوامر أيضاً أوامر بيّنة واضحة لا خفاء فيها على أحد فمن القرآن آيات محكمات أي آيات واضحة ظاهرات بينات الدلالات ليس فيها خفاء هذا معنى الإحكام الذي هو وصف لبعض آي القرآن مثلاً في جانب الأخبار عندما يقرأ كل مسلم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] هذا خبر هل فيه خفاء ؟ الذي يقرأ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ يعرف معنى شهر رمضان، ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ؛ يعرف معنى أنزل ويعرف ما هو القرآن، فهو خبر واضح مُحْكَم ليس فيه اشتباه وليس فيه التباس وليس فيه خفاء بل هو خبر واضح.

أيضاً لما نأتي إلى جانب الأوامر ويقرأ المسلم قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] الوالدين معروفان والإحسان معروف، فهو أمر محكم أي: بيّن واضح، ليس فيه اشتباه ولا التباس ، فالقرآن منه آيات محكمات: أي محكمات في جانب الأخبار وفي جانب الأوامر والنواهي ، والمراد بكونها محكمات أي: واضحة بينات ليس فيها خفاء ولا التباس ولا اشتباه هذا معنى قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٠]

وهذا يجب أن ننتبه له، جعل الله - سبحانه وتعالى - الآيات المحكمات أمّاً للكتاب أي: أصلاً ومرجعاً وعمدة بمعنى أن كل ما جاء في القرآن من آيات قد تشبه علينا أو تلبس على بعضنا فتعاد إلى الأم وترجع إلى الأصل وهي الآيات المحكمات.

وهذه طريقة أهل العلم بالله - عز وجل - وبكتابه إذا التبت عليهم آية أو اشتبه عليهم حكم في القرآن الكريم أو في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - أعادوه إلى المحكم لا يتبعون المتشابه، وإذا تشابه عليهم أمر لم يتبعوه وإنما أرجعوه وأعادوه إلى الأصل وهو المحكم؛ ولهذا يجب أن ننتبه إلى قول ربنا - سبحانه وتعالى - : ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ يعني الآيات المحكمات جعلهن الله - سبحانه وتعالى - أمّاً للكتاب أي: أصلاً له وعمدة ومرجعاً بمعنى أنه

إذا التبس عليك حكم أو اشتبهت عليك مسألة أو لم يتبين لك ما معنى آية فأرجعها إلى الآيات المحكمات
الواضحات التي جعلها الله - سبحانه وتعالى - أمّا للكتاب،

قال: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي: آيات أخرى في القرآن متشابهة ما المراد بالتشابه هنا؟ ليس المراد بالتشابه هنا التشابه الذي مرّ
معنا في قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؛ ذاك وصف للقرآن كله، أما هذا فوصف لبعض أي:
القرآن، والمراد بالتشابه هنا: خفاء المعنى وعدم ظهوره لكل أحد .

فالتشابه : هو الاشتباه والالتباس وخفاء المعنى وعدم ظهوره لكل أحد ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]

أي: فيها اشتباه، ليس الأمر ظاهر فيها كالحكم ليس الأمر ظاهر فيها كالحكم .

وإذا قال قائل : لِمَا كان بعض القرآن متشابهًا: أي خفي المعنى ؟

- ليميز الله - سبحانه وتعالى - عباده ، ولهذا انقسم العباد مع المتشابه إلى قسمين:

- قسم أثنى الله - سبحانه وتعالى - عليهم ومدحهم وهم الراسخون في العلم ، وهم الذين يقولون : كل من عند ربنا ،
ويرجعون المتشابه إلى المحكم

- وقسم أعادنا الله - عز وجل - جميعًا من سبيلهم ، وهم الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

فجعل الله - سبحانه وتعالى - بعض آي القرآن متشابهات امتحانًا للعباد ليظهر الصادق من الكاذب والحق من
المبطل والمؤمن من غيره ؛

لأن المؤمن مدحه الله أهل العلم والإيمان مدحهم الله - عز وجل - بأنهم يقولون: كل من عند ربنا ويرجعون ما تشابه
من القرآن عليهم إلى ما أحكم، فيصبح كله محكمًا؛ لأن إذا أُرْجِعَ المتشابه إلى المحكم - إذا أُرْجِعَ المتشابه إلى المحكم
- ماذا أصبح شأن المتشابه ؟ - محكمًا.. اتّضح لك؛ لأن التشابه الذي في الآيات إذا أُرْجِعَ إلى المحكم زال التشابه
الذي فيها ، ولهذا يسمى العلماء التشابه الذي في بعض الآيات يسمونه تشابهًا نسبيًا ليس تشابه مطلقًا ، ليس في

القرآن ما معناه متشابه تشابه مطلقا: أي لا يتبين لكل أحد ولا يظهر لكل أحد ليس في القرآن كلام غير مفهوم المعنى مطلقاً (هذا لا يوجد) < لكن في تشابه نسبي

ولهذا قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]

قال : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]

يعني الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه ويصبح عندهم محكمًا؛ لأنهم أعادوه إلى الآيات المحكمات اللاتي هنَّ أم الكتاب .

- فإذا قرأ القرآن ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾

أي: ومنه آيات متشابهات والمراد بالتشابه: الخفاء وعدم ظهور المعنى وعدم بيانه. وهذا أمر كما بينت نسبي ليس تشابهاً مطلقاً بحيث أنه لا أحد يفهم معناه وإنما تشابه نسبي يخفي على بعض الناس ، لكن الراسخين في العلم يعلمون تأويله: أي يعلمون معناه يعلمون تأويله أي. يعلمون معناه .

يقول الشيخ : ((فهنا وصفه))؛ أي: في قوله : ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فهنا وصفه بأن بعضه هكذا وبعضه هكذا :

أي: بعضه محكم وبعضه متشابه.

وأنَّ أهل العلم بالكتاب يردون المتشابه منه إلى المحكم، فيصير كله محكمًا

يصير كله: أي القرآن محكمًا عند الراسخين

عند الراسخين في العلم كله محكمًا: أي ليس فيه أمرٌ متشابه ، ولهذا قال مجاهد: ((عرضت القرآن كله على بن عباس

آية آية ، أقف عند كل آية وأسأله عن معناها)).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عن نفسه: ((أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله))

والله - جل وعلا - وصف الراسخون بالعلم بأنهم يعلمونه تأويل القرآن قال:

﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] على قراءة الوصل

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ أي: الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه بمعنى: أنه ما كان فيه من تشابه يزول عن الراسخين في العلم بكتاب الله - عز وجل - وشرعه ودينه؛ لأنهم يعيدون ما تشابه منه إلى المحكم فيصير كله عندهم محكما أي: لا تشابه فيه وليس في أي شيء من آياته خفاء عليهم من حيث المعنى ، قال : ويقولون : ﴿كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه : ﴿كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي: وما كان من عنده فلا تناقض فيه، فما اشتبه منه في موضع فسرهُ الموضع الآخر المحكم فحصل العلم وزال الإشكال ولهذا النوع أمثلة - سيذكرها - رحمه الله تعالى - لكن مزيدا من البيان والإيضاح لهذه الآيات الكريمة

وهذه الآية حقيقة ينصح كل مسلم بالعناية بها؛ لأن هذه الآية تعد أصلاً في دفع الباطل. وإذا كنت أخي المسلم على فهم لهذه الآيات الكريمة وعلى دراية بمعناها أصبح عندك بإذن الله - تبارك وتعالى - سلاحاً ترد به على أهل الباطل الذين يشوشون على الناس في عقائدهم وعباداتهم وأعمالهم، ويسعون في نشر البدع والضلالات، فإذا كنت على معرفة بهذه الآية ومعرفة بمعناها أصبح عندك بإذن الله - تبارك وتعالى - سلاحاً نافعا مفيدا لك في رد ضلال هؤلاء، وتستطيع رده ردا مجملا في ضوء هذه الآية

أما الرد التفصيلي على أهل البدع وأهل الضلال وأهل الشبهات فهذا عند أهل العلم الراسخين هم الذين يتولون تفنيد شبهات أهل الباطل شبهة شبهة ويتوسعون في بيان وجوه بطلانها هذا أمر عند أهل العلم الراسخين لكن كل مسلم يستطيع في ضوء هذه الآية أن يرد ردا مجملا على كل صاحب باطل. وهذه المسألة مستعينا بالله - تبارك وتعالى - سأوضحها توضيحا بينا واضحا حتى نسير جميعا في جادة واضحة نسلم فيها من شبهات أهل الباطل وتليسات أهل الضلال وما أكثرها ولا سيما في هذا الزمان ..

فهذه الآية أصل مهم وأصل عظيم وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بنى عليها كتابه العظيم " كشف الشبهات " وبين كيف أن المسلم وإن كان قليل العلم يسير البضاعة في نصوص الكتاب والسنة يستطيع بمثل هذه الأصول والقواعد العظيمة أن يرد شبهة كل مبطل وضلالة كل مضل ردا مجملا عاما لكن متى يتسنى لك ذلك ؛

لأن هناك مرحلة قبل هذه المرحلة يعني قبل أن ترد عليهم بهذا الأصل الذي دلت عليه الآية هناك مرحلة لا بد أن تُعنى بها ألا وهي:

- أن تكون أيها المسلم على معرفة بالعقيدة الصحيحة بالدليل من كتاب الله وسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام - في باب العبادة وباب الأسماء والصفات وأبواب الاعتقاد الأخرى تعرف العقيدة بالدليل من الكتاب والسنة من خلال ضبط متن من المتون المختصرة التي كتبها أهل العلم في بيان الاعتقاد .
- ثم بعد ذلك لو قدر أن ملبسًا أو مبطلًا عرض عليك شبهة لا تدري مخرجها من مدخلها ، ولا تدري وجه ردها ، ترد عليه بهذه الآية المحكمة التي تحلي لك الموضوع وتدفع باطل المبطلين . وكما يقال : بالمثال يتضح المقال .

من الأصول الراسخة عند كل مسلم بل هو أصل الأصول وأساسها: أنّ العبادة حق لمن ؟: لله - سبحانه وتعالى - لا شريك له - سبحانه وتعالى - في ذلك .

وهذا الأصل ثابت عند المسلم بدلائل كثيرة وحجج وفيرة في القرآن والسنة .

اقرأ في تثبيت هذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] . ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ٢٢].

آيات كثيرة تثبت هذا الأصل وترسخه وتبين أنّ العبادة حق لله - سبحانه وتعالى - وأنه لا يُجعل مع الله - سبحانه وتعالى - فيها شريك .

هذا محكم، هذه الآيات التي تلوت عليكم بعضها آيات محكمات ، توضح أصل الأصول وأساس الأسس . وهو أنّ العبادة حق لله - سبحانه وتعالى - .

● فيجب أن: يكون هذا الأصل ثابتاً مستقراً في قلب المسلم .

- وأنّ العبادة حق لله ويعرف أن " العبادة " هي الدعاء ، الذبح ، النذر ، الركوع ، السجود ، الخوف ، الرجاء

...

هذه كلها عبادات وهذه كلها حق لله - سبحانه وتعالى - ، لا يجعل مع الله - جل وعلا - شريك فيها .

وصلنا إلى هذا الحد ورسخ عندنا هذا الأصل ثم بُلي أحد الناس بمبطل من المبطلين وملبس من هؤلاء الملبسين ثم جاءه

وبدأ يدخل عليه ببعض الآيات التي يُشبه عليه من خلالها . قال له مثلاً: الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا

أُولِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يونس: ٦٢-٦٣]

ألا تؤمن بمكانة الأولياء؟ ومنزلة الأولياء؟ والله - سبحانه وتعالى - أثني على الأولياء؟

وجاءت النصوص الأخرى تدل على أنّ الأولياء يشفعون؟ وأنّ الأنبياء يشفعون؟ وأنّ لهم مكانة وجاها عند الله -

سبحانه وتعالى - ومنزلة عظيمة عند الله - تبارك وتعالى - ؟ فماذا يضريك لو أنك استنجدت بوليّ والتجأت إليه

وطلبت منه أن يكون شفيعاً؟ وطلبت منه أن يكون لك وسيلة عند الله - عز وجل - وطلبت وطلبت.....!

ثم دخل على الإنسان من هذا الباب ويريد أن يوقعه بمثل هذا الاشتباه في الشرك الصراح، وصرف العبادة لغير الله -

تبارك وتعالى - والتعلق بالمقبورين والاستنجاد بهم وإنزال الحاجات بهم .

ولذا ترى عدداً من الناس صرعى لشبهات أهل الباطل الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم عنهم : «إِنْ أَخَوْفَ مَا

أَخَافَ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الْأُتَمَّةِ الْمُضِلِّينَ .»

تراهم صرعى عند القبور يقف خاشعاً باكياً متذللاً ويقول لصاحب القبر الميت الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً

فضلاً عن أن يملك شيئاً من ذلك لغيره

ويقول مناجياً صاحب القبر :

إن لم تأخذ بيدي من الذي يأخذ بيدي ؟

إن لم تنقذني من الذي ينقذني ؟

إن لم تكن على يدك نجاتي من الذي تكون على يديه نجاتي ؟

ويكي خاشعا عند القبر .! طامعا راجيا سائلا متذللا .!

بسبب أنه أصبح صريعا لشبهات أهل الضلال . وأهل الباطل أئمة الذين قال عنهم عليه الصّلاة والسّلام: ((إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)) فدخلوا على العوام والجهال من هذا الباب، وهذا هو معنى قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ فتنوا العوام وفتنوا الجهال، ووقعوهم في الشرك بالله، وبالعبادة الصّريحة لغير الله - سبحانه وتعالى - .

ثمّ مزيداً في التّلييس والإضلال قالوا: هذا توسل وهذه شفاعة؛ هؤلاء وسيلة لنا عند الله وهؤلاء شفعائونا عند الله فرجعوا إلى عين فعل المشركين الأول الذين قال الله - سبحانه وتعالى - عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]

وفي آية أخرى قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ رجعوا إلى عمل المشركين الأولين، ولهذا بعضهم إذا قام يصلي لا يخشع في صلاته ولا ييكي مثلما ييكي عند قبر من يُرعم أنّه ولي، أو يدعى أنّه من أولياء الله - تبارك وتعالى - ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد أصبح يوجد في من هو منتسب للإسلام من يسجد مستقبلاً القبر من كل جهاته، ومن يذبح للقبر، ومن يدعو صاحب القبر ويطلب منه حاجاته من ولدٍ أو صحبةٍ أو عافيةٍ أو هدايةٍ أو غير ذلك؛ فإذا جاء مبطل وقال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أما تعرف مكانه الأولياء، أما تعرف قدر الأولياء؛ الأولياء كذا، والأولياء كذا، فكيف ترد عليه؟

- تقول له: يقول الله - سبحانه وتعالى - في سورة ال عمران في أوائلها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ انظر واقرأ عليه بعض الآيات المحكمات ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ

شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿﴾ اقرأ عليه هذه الآيات المحكمات وقل هذه أم لكتاب الله - سبحانه وتعالى - ، وهي توضح لنا أن العبادة حق لله - تبارك وتعالى - ،

وهذا الذي تقرأه علي في هذه الآية هو داخل في آية ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ﴿﴾ هذا شيء متشابه فهو التفصيلي عند أهل العلم؛ أمّا أنا فمع هذا المحكم البين لا أعبد إلا الله، ولا أدعو إلا الله، ولا أسأل إلا الله، ولا أستغيث إلا بالله، ولا أطلب المدد والعون إلا من الله، ولا أصرف شيئاً من العبادة إلا لله - تبارك وتعالى - ؛ هذا أمر محكم لا ينبغي ان يخرج عنه المسلم قيد أمثلة؛ لأنّه إذا خرج دخل في سبيل أهل الزيغ، وخرج من الاعتقاد الصحيح إلى عقائد أهل الباطل والضلال.

وتترك الأجوبة التفصيلية على هذه الأمثلة إلى أهل العلم الراسخين؛ لكن المسلم العادي يرد ردًا مجملًا بمثل هذا، ويقول : أنا مع الآيات المحكمات وعبادتي لن أصرفها إلا لله - سبحانه وتعالى - ،

أمّا أن تقول لي : حق الأولياء ومكانه الأولياء وغير ذلك من الأمور التي تريد أن تشبه عليا من خلالها في هذا الأصل فأنا لن اترجح عن هذا المحكم البين، ولن أصرف شيئاً من العبادة إلا لله - تبارك وتعالى - . وهكذا بقية الأمور، وبقية أصول الإيمان وثوابت الدين تكون عندك راسخة ثابتة بآيات محكمات، ونصوص واضحة، وإذا شبّه عليك مشبه، أو لبس عليك ملبس في ذلك فإنّك تعيد ذلك إلى المحكم الواضح البين من كتاب الله وسنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - .

وبهذه المناسبة أقدم نصيحةً غالية ثمينة وأرجو أن يكون لهذه إنتشارا لعلها تعالج إشكالا عما وطن وانتشر في كثير من الأصقاع وراج في عدد من البقاع

ألا وهي: أننا يجب أن ندرك أن أخطر شيء على الإطلاق وأضره على الإنسان في دنياه وأخراه : الشرك بالله - عز وجل - .

فليس هناك أخطر من الشرك ، هو أظلم الظلم وأكبر الموبقات وأعظم الكبائر وأعظم الذنوب وأخطرها . قال الله سبحانه وتعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)) لقمان

وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (٤٨) النساء .. قالها في موضعين من سورة النساء

وقال جل وعلا : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) (٣١) الحج

وقال ﷺ : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَافِرٍ) (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) فاطر .

الظالمين المراد بها: المشركين .

وقال جل وعلا : (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٢٥٤) البقرة .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا ، ولهذا يجب أن يكون أشد شيء نخاف منه في هذه الحياة : الشرك بالله .

وأن يكون خوفنا منه واثقاؤنا له ، ومحاذرتنا من الوقوع فيه أشد من أي أمر آخر .

وانظر ذلك في دعوة إمام الحنفاء ، خليل الرحمن الذي حطم الأصنام بيده وكسرها بيده ، قال عليه السلام في دعائه :

(وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) ابراهيم .

هكذا قال إمام الحنفاء : (رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ)

قال ابراهيم التيمي رحمه الله : ومن يأمن البلاء بعد ابراهيم !

إذا كان إمام الحنفاء ابراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - قال في دعائه : " وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ "

ولهذا يجب علينا جميعا أن نكون في خوفنا من الشرك أشد الخوف ، وأن نخاف أشد شيء . وقد قال عليه الصلاة

والسلام : إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْخَفِيُّ . فالشرك أعظم ذنب ، وأكبر جرم ولهذا ليكن أمره عندك بينا

محكما واضحا ، تعرف ماهو الشرك . وأنه تسوية غير الله بالله في خصائصه أو في حقوقه .

فمن سوى غير الله بالله في شيء من خصائص الله أو في شيء من حقوق الله - تبارك وتعالى - كان مشركا بالله - سبحانه وتعالى - .

ولهذا احذر ثم احذر ثم احذر أن تبغى بملبس مضل يفتنك عن هذا الأصل .

ويضلك عن هذه الجادة ويزين لك أمورا هي من الشرك بالله - سبحانه وتعالى - ، وإما أن يسمي لك الشرك توسلا أو يسميه شفاعاً ، أو يسمي ذلك تعظيما للأولياء وقياماً بحقوقهم ومعرفة بجاههم ، أو غير ذلك من الأمور
أو يأتيك بآية هي من المشتبهات ، أو يأتيك بحديث موضوع أو ضعيف أو من الأحاديث الواهيات ، أو يأتي بقصة مخترعة وشيء من الأخبار الموضوعات وما أكثرها!

ولهذا تجد بعض الناس انحرف إلى الشرك بسبب قصة - والعياذ بالله - ويقولون: قبر فلان ترياق المجربين الذي عنده مشكلة وعنده مصيبة عنده مرض عنده عقم عنده كذا يجرب ترياق المجربين فلان جرب وفلان جرب وفلانة جربت اذهب وجرب التجربة يقولون: أكبر برهان ... وكذبوا..

أكبر برهان القرآن الكريم والتجارب منها ما هو صادق ومنها ما هو كاذب منها ما تطلع بنتيجة صحيحة ومنها ما تكون نتائجها فاسدة أكبر برهان القرآن الكريم وسنة النبي - صلوات الله وسلامه عليه -

ولهذا بعضهم يتنادون ينادون المريض والذي عنده مشكلة يقول اذهب إلى قبر فلان جرب ترياق المجربين فلان جرب وفلانة جربت وعلان جرب واستفادوا فلان كان عقيما وأنجب وفلانة كانت مريضة وشفيت اذهب وجرب ثم يذهب ويبيع دينه << وقد يكون ثمة شيء من الاستدراج قد يشفى مريض وقد يزول عقم وماذا؟ قد يكون استدراجا

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]

فهذه التجارب ليست هي الحجة وليست هي البرهان ولهذا كم من أناس فتنوا وصدوا عن دين الله وصرفوا عن التوحيد الخالص وأوقعوا في الشرك بالله - سبحانه وتعالى - إما بآية مشتبه معناها على بعض الناس فيلبسون بالاشتباه ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة أو بأحاديث موضوعة على النبي - عليه الصلاة والسلام -

أحد الوضاعين الكذابين المجرمين كذب على نبينا عليه الصلاة والسلام حديثا وراج على بعض العوام قالوا: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لو اعتقدت في حجر نفعتك))

إمام الحنفاء وداعية التوحيد والذي حارب الشرك أشد محاربة ينسبون إليه مثل هذا الكلام الباطل!!

عياذا بالله ((لو اعتقدت في حجر نفعل)) ثم العامي إذا قيل له قال صلى الله عليه وسلم: ((لو اعتقدت في حجر نفعل)) وأتي له ببعض التلبيسات ذهب إلى الحجارة وأصبح يتمسح بها ويطلب منها حاجاته وطلباته وينسبون ذلك إلى النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام -

فباب الاشتباه والمتشابه هذا باب دخل منه أهل الباطل على العوام والجهال وأضلّوهم به عن سواء السبيل

- ولهذا ينبغي على المسلم أن يعرف عقيدته واضحة من الآيات المحكمات في كتاب الله - عز وجل - والأمور المشتبهة التي يثيرها بعض الناس يتركوا بيانها لأهل العلم الراسخين ويبقى هو محافظاً على عقيدته الصحيحة الراسخة المستمدة من كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه
- هذا مثال يوضح هذه الآية الكريمة والشيخ رحمه الله تعالى ذكر أمثلة أخرى

قال: منها ما تقدم من الإخبار بأنه: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤]، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٦]، و﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣] فإذا اشتبهت على من ظن به خلاف الحكمة وأن هدايته وإضلاله يكون جزافاً لغير سبب وضحت هذا الإطلاق الآيات الأخر الدالة على أن هدايته لها أسباب يفعلها العبد ويتصف بها مثل قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦] وأن اضلاله لعبد لها أسباب من العبد وهو توليه للشيطان ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠]، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]؛

هذا الآن مثال يقول: لو حصل للإنسان اشتباه في هذه الآيات في العامة ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٦]، و﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾

هذه المعاني العامة التي دل عليها القرآن لو حصل عند الإنسان اشتباه فيها

يهدي من يشاء ويضل من يشاء هكذا جزافاً؟! يهدي من يشاء ويضل من يشاء؟! إذا حصل عند الإنسان اشتباه في هذا الأمر هل هذا جزاف؟ أو أن هذا الأمر وهذه الهداية وهذا الإضلال عن حكمة وعدل

إذا حصل للإنسان اشتباه في هذه الأمور العامة يذهب إلى أشياء تفصيلية في القرآن توضح له الأمر فإذا قرأت مضموماً إلى ما سبق قول الله تعالى : ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦].

وأيضاً مثلها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿١٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿١٧﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿١٨﴾﴾ [الليل: ٥-٧] هذا في باب الهداية

وفي باب الإضلال إذا قرأت : ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣٠] هذا سبب فعلوه

وأيضاً قوله : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]

فإذا يهدي من يشاء ويضل من يشاء هذه تبيينها مثل هذه الآيات إذا أرجعتها إليها اتضح لك الأمر وأن هداية من هداه الله - سبحانه وتعالى - هو فضل وإنعام وإضلال من أضله هو عدل منه - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]

قال وإذا اشتبهت على الجبري: الذي يرى:

أن أفعال العباد مجبورون عليها بينتها الآيات الأخرى الكثيرة الدالة على أن الله لم يجبر العباد

وأن أعمالهم واقعة باختيارهم وقدرتهم وأضافها إليهم في آيات غير منحصرة

كما أن هذه الآيات التي أضاف الله فيها الأعمال إلى العباد حسننها وسيئها إذا اشتبهت على القدرية النفاة وظنوا أنها منقطعة عن قضاء الله وقدره

وأن الله ما شاءها منهم ولا قدرها << تليت عليه الآيات الكثيرة الصريحة بتناول قدرة الله لكل شيء من الأعيان والأعمال والأوصاف .

وأن الله خالق كل شيء ومن ذلك أعمال العباد وأن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين

وقيل للطائفتين :

إن الآيات والنصوص كلها حق ويجب على كل مسلم تصديقها والإيمان بها كلها

وأنها لا تتنافى فهي واقعة منهم وبقدرتهم وإرادتهم والله تعالى خالقهم وخلق قدرتهم وإرادتهم ,وما أجمل في بعض الآيات فسرته آيات آخر , وما لم يتوضح في موضع توضح في موضع آخر , وما كان معروفاً بين الناس وورد فيه القرآن أمراً أو نهياً كالصلاة والزكاة والزنا والظلم ولم يفصله فليس مجملاً ؛ لأنه أرشدهم إلى ما كانوا يعرفون وأحاطهم على ما كانوا به متلبسين فليس فيه إشكال بوجه والله أعلم.

يقول وإذا اشتبهت على الجبري يعني مثل قوله : ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨] ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]

إذا اشتبهت على الجبري, والجبري: هو الذي يقول إن الإنسان مجبور على فعل نفسه, ويقول: إن الإنسان كالورقة في مهب الريح ليس له مشيئة ولا اختيار

فإذا اشبهت هذه الآيات على الجبري واستدل بها قال: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ، وأن الإنسان مجبور على نفسه ليس له اختيار في هداية أو في ضلال وليس له مشيئة في هداية ولا ضلال , فكيف يرد عليه؟

- تتلوا عليه الآيات في القرآن الكريم التي تثبت المشيئة للعبد
- وتقول هذا الاشتباه الذي عندك الذي حصل لك هنا تزيله آيات أخرى مثل قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]

ومثل الآيات الكثيرة التي فيها إضافة الأعمال إلى العباد صالحها وسيئها حسنها وريئها إضافتها إلى العباد؛ لأنهم فعلوها بمشيئتهم واختيارهم

فبهذا يرد على الجبري ما قد يكون عنده من اشتباه حصل له بقراءته للآيات العامة ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ يتلى عليه الآيات التي توضح ذلك ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]

قال: ((كما أنّ هذه الآيات التي أضاف الله فيها الأعمال إلى العباد حسنها وسيئها إذا اشتبهت على القدرية النفاة)).

هذه الأعمال التي أضافها الله - سبحانه وتعالى - إلى العباد مثل: الصلاة والصيام، الإحسان، البر أيضاً: الذنوب والمعاصي والفسق والشرك جاءت في القرآن في آيات كثيرة مضافة إلى العباد: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].. إلى آخر الآية، فهذه إضافتهم إليهم إذا اشتبهت على القدرية النفاة،

والقدرية النفاة أي: القائلين بنفي القدر وأنّ الأمور ليست بمشيئة الله

فإذا اشتبه عليهم الأمر وقالوا: إنّ الله أضاف هذه الأعمال للعباد وهذا دليل على أنهم هم الخالقون لها وهذه عقيدة القدرية النفاة، يقول: العبد هو الخالق لفعل نفسه فبماذا يُرد على هؤلاء ؟

ترد عليهم بالآيات العامة التي تثبت أنّ الله خالق كل شيء بما في ذلك أفعال العباد مثل قوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، ومثل قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، ومثل قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ونظائرها من الآيات.

فإذن إذا حصل عند إنسان اشتباه في جانب يُضم إلى ما حصل عنده الاشتباه فيه يرد إلى الآيات الأخرى التي توضح الأمر فيكون بذلك تطبيقاً لقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، وأيضاً: نختتم الكلام على هذه القاعدة بمزيد آخر من التوضيح للآية قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

ما المراد بالتشابه هنا؟ هل مراد به التشابه من حيث المعنى؟ أو التشابه من حيث الحقائق؟

● الآية تحتل الأمرين:

- يحتمل أن يكون المراد بالتشابه أي: من حيث الحقيقة والكُن

- ويحتمل أنّ المراد التشابه من حيث المراد أي: بالمعنى،

فالآية تحتل هذا وتحتل هذا ، بل أنّ كلا من الاحتمالين مراد بالآية في قوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾

- وعلى الاحتمال الأول أنّ المراد بالتشابه: أي من حيث الحقيقة والكُن في باب صفات الله، وفي باب

أوصاف الجنة وفي أوصاف الأمور التي تكون يوم القيامة، فالتشابه هنا من حيث الحقيقة يكون تشابه مطلقاً

وليس تشابه نسبياً : بمعنى أنه أمر مشتبه على جميع الناس لا أحد من الناس يعرفه تشابه مطلقاً : أي على جميع الناس ليس أحد من الناس يعرف ذلك حقائق وكنه صفات الله - تبارك وتعالى - أيضاً حقائق النعيم الذي في الجنة قال ابن عباس: ((ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء))

أما الحقائق مختلفة، فحقائق النعيم الذي في الجنة أمر مختلف

عنب وعنب لكن حقيقة العنب الذي في الجنة الله أعلم بحقيقته ، وهكذا بقية النعيم.

➤ فإذا كان المراد بالتشابه من حيث الحقيقة فالتشابه ما نوعه؟

- مطلق أي: على الجميع وهنا يلزم الوقوف عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] ،
- والتأويل أيضاً له معنيان وكل من المعنيين راجع إلى المعنيين المرادين بقوله: ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾؛
- لأن التأويل يراد به التفسير الذي هو بيان المعنى،
- ويراد بالتأويل معرفة الحقيقة والمآل.

فإذا كان المراد بالتشابه من حيث الحقيقة فهذا أمر لا يعلم تأويله إلا الله ويلزم الوقوف هنا: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] يجب أن يقف القارئ هنا على فهم أن المراد بالتشابه أي من حيث الحقيقة،

- أما إذا كان المراد بالتشابه من حيث المعنى وهذا الاحتمال الثاني ووارد في الآية فإن الوصل جائز يجوز أن تصل وهي قراءة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ أي: والراسخون في العلم يعلمون تأويله وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما قال: ((اللهم علمه التأويل)) أي التفسير علمه التأويل أي التفسير إذا قوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾

- يحتمل أن يكون المراد بالتشابه - أي من حيث الحقائق - ويكون التشابه هنا مطلق لا يعلم تأويله إلا الله - سبحانه وتعالى -

- ويحتمل أن يكون التشابه من حيث المعنى، وهذا التشابه أمر نسبي يعني يشته على بعض الناس ولا يشته على الراسخين في العلم وعلى هذا الفهم يجوز الوصل بأن تقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ أي: أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله.

الشاهد أن هذه قاعدة نافعة في فهم كتاب الله - عز وجل - ، ومعرفة معانيه ويستفيد منها المسلم زيادة إيماناً بكتاب الله - عز وجل - ، وأيضاً يسلم من خلالها من شبهات المضلين وتلييسات المبطلين.....